

الملحق

يتناول هذا الملحق مواضيع لها علاقة بالمتن وقد جرت فيه استفاضة في تناول بعض المواضيع او الاشارة الى جوانب لم يتم تناولها. بهذا المعنى، فالملحق مكمل للمواضيع التي جرى تناولها في المتن.

باب

لقد اشرنا في الفصل الرابع الى ان الشيخ احمد بارزاني كان يمثل دور الاب على المستوى الاجتماعي ودور المرشد الديني على المستوى العقائدي. قبله، عرف البارزانيون الشيخ عبدالسلام الثاني بأسم "باب" اي الاب باللغة الكردية (انظر: العمامة الحمراء). ومهما كان الظن بالطابع الاجتماعي للقب "باب" فهو مدعاة لاثارة بعض الشبهات حول المعاني غير الاجتماعية.

وإذا تجنبنا اعتبار ان الصدفة وحدها هي التي جعلت كلمة "باب" تعني "الاب" في اللغة الكردية، فإن هذه الكلمة قد يكون وراءها مغزى اعمق. ففي الادبيات الشيعية يعرف الامام علي بالباب. ويتضح ذلك في الحديث المنسوب الى النبي محمد الذي يقول "انا مدينة العلم وعلي بابها، فمن اراد العلم فليأت الباب".^١ وفي سلسلة المراتب الاسماعيلية تأتي مرتبة "باب" في المرتبة الثانية بعد مرتبة "امام" بحسب سلسلة عارف تامر^٢ والمرتبة الرابعة بعد مراتب "ناطق" و "اساس" و "امام" بحسب سلسلة الدكتور مصطفى غالب^٣. ويستخدم كذلك بشكل مجازي للدلالة على "الشيخ" الذي يعلم الناس اسرار الدين^٤. وفي العصر الفاطمي اطلق لقب "باب" على رئيس الحركة الاسماعيلية^٥.

^١ دكتور مهدي محقق، اسماعيليه، ص ٧٩.

^٢ عارف تامر، اسماعيليه وقرامطه در تاريخ، ص ٧٣.

^٣ الدكتور مصطفى غالب، الحركات الباطنية في الاسلام، المصدر السابق، ص ١٢١.

^٤ دائرة المعارف الاسلامية، المجلد الثالث، المصدر السابق، ص ٢٣٧.

^٥ دكتور فرهاد دفتري، تاريخ وعقائد اسماعيليه، ص ٣٦٥.

وفي الادب الديني الاسلامي تميل بعض العقائد الى منح بعض الشخصيات التاريخية البارزة، مثل سلمان الفارسي، قيمة مضافة. فعند جماعة الشيعة الخمسة، وهي طائفة ظهرت في القرن الثامن الميلادي في الكوفة واعتبرت ان الله يتجسد في خمسة صور، يمثل سلمان الفارسي باب النبي محمد^٦. لكن سلمان يصبح عند النصيريين بابا للامام علي^٧.

ويعتقد كل من العلويين والنصيريين ان لكل امام باب. ولما كان الباب في عقائد العلويين يمثل مركزا ساميا ومصدرا للارادة الالهية ومجسدا للمعرفة المطلقة، فقد ظهر بينهم من زعم انه الباب. تركت هذه النشاطات اثارا سلبية على متانة البنيات الايديولوجية للعلويين وبسبب ذلك ظهرت الجماعة التي عرفت فيما بعد بأسم الاسحاقية نسبة الى زعيمها ابو يعقوب اسحق النخعي الذي ادعى انه الباب^٨.

وفي مراحل مختلفة استخدمت كلمة "باب" للإشارة الى العناصر المكلفة بأداء مهام هامة. في هذا الشأن حاز ابو القاسم حسين بن روح، السفير الثالث للامام الشيعي الثاني عشر، على لقب باب وصار الشيعة يخاطبونه بهذه التسمية^٩. وتتسم مرحلة السفراء الشيعة بهشاشة البنيات الايديولوجية لأن الامام الثاني عشر لم يكشف عن نفسه وأثر ان يتصل بأتباعه عن طريق السفراء. وعلى اية حال، فإن التعقيدات التي تكتنف تحليل هذه المسألة تجعل من الصعب تسليط ضوء قوي عليها.

^٦ نفس المصدر، ص ١٢٠.

^٧ الدكتور مصطفى غالب، الحركات الباطنية في الاسلام، المصدر السابق، ص ٢٧١.

^٨ علي عزيز الابراهيم، العلويون في دائرة الضوء، مركز الغدير للدراسات الاسلامية، بيروت، ١٩٩٩، ص ٥١.

^٩ جواد علي، المهدي المنتظر عند الشيعة الاثني عشرية، ترجمة الدكتور ابو العيد دودو، منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠٠٥، ص ١٣٥.

صانع

تستخدم كلمة "صانع" على نطاق واسع بين البارزانيين كأسم علم للرجال لكنها تستخدم على نطاق ضيق جدا بين الاكراد. ولهذا الاسم صيغة اخرى هي "صنعان".

يعكس "صانع" البنية الفوقية الثقافية للعقائد المتأثرة بالفلسفة الغنوصية باعتبار ان للكلمة من حيث المعنى اصل غنوصي. ولا ترد فكرة خلق العالم في الغنوصية وبدلا من الخالق يوجد الصانع^{١٠} (انظر: الاصول الاسماعيلية).

ان التصور التوراتي للاله يختلف بشكل جذري عن التصور الانجيلي. وفي حين تصور التورات لها جبارا قاسيا غاضبا، يكشف الانجيل عن اله خير حليم حنون. اعتبر الغنوصيون المسيحيون ان هذا التعارض يوضح حقيقة وجود الهين وشريعتين ورأوا ان اله الانجيل هو الاله الاعلى، الخالق والاب، اما اله التورات فهو الاله الادنى، صانع العالم. وبحسب هذه الرؤية، وسع الغنوصيون المسيحيون هامش النبوة فقالوا ان المسيح الوارد ذكره في التورات والذي ينتظره اليهود، مسيح مقاتل ومحج للحرب، وعد بمجيئه انبياء التورات بالاعتماد على اوامر الاله الادنى. اما المسيح المخلص فهو مسيح خير رحيم يمثل ارادة الاله الاعلى، الخالق النوراني^{١١}.

جلي ان الغنوصية لا تساوي بين الاله الصانع وبين الاله الاعلى الخالق ولا تساوي بين عملية الصنع وبين عملية الخلق. وبحسب النظرية، فأن الاله الصانع استخدم قدراته لازالة الفوضى الموجودة وصنع العالم من عناصر النار والماء والهواء والتراب^{١٢}.

المهدي

لا تحتل نظرية المهدي اي مكان في العقائد البارزانية. لكن باسيل نيكيتين، المستشرق الروسي المختص بالشؤون الاجتماعية الكردية، يشير في كتاباته الى ان

^{١٠} الدكتور صابر طعيمة، التصوف والتفلسف، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٥١.

^{١١} يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، المصدر السابق، ص ٢٥٦-٢٥٧.

^{١٢} الدكتور مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، الجزء الثاني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٢٢٧-٢٢٨.

البارزانيين لم يكونوا بمعزل عن معرفة نظرية المهدي^{١٣}. واستنادا الى نيكييتين، فإن اول ذكر للمهدي بين البارزانيين قد تم في عهد الشيخ عبدالسلام الاول (المتوفى في عام ١٨٤٤). ويبدو من سرد نيكييتين للاحداث ان اتباع الشيخ عبدالسلام الاول كانوا يريدون ان يجعلوا من المهدي اداة تعطي البارزانيين هوية ايديولوجية قوية لكن الشيخ لم يؤيد تلك الفكرة وابدى تحفظا شديدا عليها. لقد حثه اتباعه على امور اعتبرها اكبر من طاقته ولا تتضمن معنى المسؤولية، من قبيل الاستعداد لاستعداد العثمانيين والعمل على اسقاطهم بحجة انهم لم يعودوا يمثلون الاسلام الحقيقي وانهم فقدوا الحق في الخلافة.

واذا كان الشيخ عبدالسلام الاول قد وقف بثبات ضد تلك الفكرة، فإن خليفته، ابنه الشيخ محمد (١٨٣٧-١٩٠٢) لم يقاوم الضغوط. فبعد فشل ثورة الشيخ عبيدالله نهري ونفيه الى الحجاز، ظهرت فكرة اعلان المهدي من جديد وحاول البارزانيون استغلال الفراغ الذي نشأ بزوال مشيخة نهري لتوسيع سلطانهم. وايد الشيخ محمد فكرة اعلان المهدي وخطط للاستيلاء على الموصل، تمهيدا للتوجه الى اسطنبول واسقاط الخلافة العثمانية. لكن والي الموصل انقذ المدينة من تهديدات البارزانيين وعن طريق الخدعة نزع اسلحتهم وقبض على الشيخ محمد. لاحقا، تمكن الشيخ محمد واثنين من اتباعه من الهرب من الموصل والعودة الى الجبال. اما اتباعه فقد نفت السلطات اعدادا كبيرة منهم الى طرابلس في شمال افريقيا. وبفشل تلك الحركة، اختفت فكرة المهدي بين البارزانيين بشكل تام.

فاطمة

على الطريق بين بارزان وبازي توجد صخرة يقول السكان ان فيها اثر لقدم فاطمة، بنت النبي محمد^{١٤}. ولما كانت فاطمة قد توفيت في السنة الحادية عشرة للهجرة، في اوائل عهد الخليفة ابوبكر الصديق وقبل تدشين عصر الفتوحات الاسلامية، فإن ظهورها في كردستان ليس سوى خرافة.

^{١٣} بازيل نيكييتين، كورد ناسي، سهرچاوهي پيشو، ٢٠٠٤، ل ٤٣-٤٩.

^{١٤} ماخاڻ شيرواني، بارزان و رهه لهه كى بارزانيان: ليكولتيموهيه كى مهيدانى و ميژويى لهه سهر بارزان تا بههاري ١٩٧٤، سهرچاوهي پيشو، ل ٥٠.

ويرى السكان في الصخرة اثرا مقدسا. وكما هو واضح فإن قدسية الصخرة انعكاس لقدسية فاطمة نفسها. ومن وجهة النظر التاريخية، تحظى فاطمة باحترام الشيعة والسنة سواء بسواء لكن مكانتها عند الشيعة تفوق مكانتها عند السنة، وذلك لأسباب ايدولوجية. وذهب الاسماعيليون ابعد من ذلك واعتبروا ان فاطمة هي "ذات هيكل نوراني"^{١٥}. ونظرا لمكانتها السامية، ارجع الاسماعيليون في شمال افريقيا نسبهم اليها وتسموا بأسم الفاطميين.

ان القصص التي تتناول وجود اثار مقدسة على الصخور جلية في الاداب الاسلامية. وتتضمن الاساطير الاسلامية قصة عن نزول آدم على جبل في سرديب (سري لانكا الحالية) وتزعم ان صخرة في جبل الرهون فيها اثر قدم له^{١٦}.

ان ورود اسم فاطمة في قصة الصخرة ليس اعتباطيا. وثمة حادثة تاريخية ربما يكون لها صلة بالموضوع. ففي القرن الثامن الميلادي قاد ابو مسلم الخراساني جيش العباسيين واشتبك مع الجيش الاموي على نهر الزاب الصغير في كردستان. بعد مقتله على يد الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور، اختار مؤيدوه ابنته فاطمة زعيمة عليهم. لاحقا، ظهرت جماعة من الخرمية عرفت بأسم الفاطمية، نسبة الى فاطمة بنت ابو مسلم الخراساني. ويورد اليعقوبي انه وجد اكراد بين الخرمية^{١٧}.

وهناك مصادر ترى ان بابك الذي قاد الثورة الخرمية ضد الدولة العباسية ينتسب الى مطهر بن فاطمة بنت ابو مسلم الخراساني^{١٨}. وتشير بعض المصادر الى الاصل الكردي لأبي مسلم الخراساني^{١٩}. في هذا الاطار يصبح مرور فاطمة بنت ابو مسلم ببهدينان للوصول الى اذربيجان امرا غير مستبعد وربما تكون هذه المرأة هي التي اعطت اسمها للصخرة.

^{١٥} رودلف شتروطمان، اربعة كتب اسماعيلية، المصدر السابق، ص ٥٨.

^{١٦} حسين بن علي بن محمد بن الوليد، المبدأ والمعاد في الفكر الاسماعيلي، تحقيق خالد المير محمود، دار علاء الدين للنشر، دمشق، ٢٠٠٧، ص ٢٨.

^{١٧} دكتور غلامحسين صديقي، جنبشهای دینی ایرانی در قرنهای دوم و سوم هجری، ص ٢٥٦-٢٥٩.

^{١٨} نفس المصدر، ص ٢٨٦.

^{١٩} دكتور مهدي علائي حسيني، ابو مسلم از واقعت تا افسانه، مؤسسه چاپ وانتشارات آستان قدس رضوي، تهران، ١٣٧٥، ص ٤٨.

قصيدة الشيخ عبدالسلام الاول

في عام ١٩٨٠ نشر ايوب بارزاني لأول مرة القصيدة التي كتبها الشيخ عبدالسلام الاول في عام ١٨٤٢ وهي قصيدة طويلة، مؤلفة من ٩٥ بيت ثلاثي التصريح.

تكمّن قيمة القصيدة في كونها تتضمن اشارات في غاية الدقة والاهمية لمنابع العقائد البارزانية. يلفت النظر ان القصيدة تشتمل على الكلمتين الاساسيتين في عقيدة الغنوصيين وهي كلمتا "خالق" و "صانع". ترد الاولى خمس مرات في الايات ٤ و ٩ و ٤٤ و ٤٥ وترد الثانية مرة واحدة فقط في البيت السابع والثلاثين. قطعاً لا يعني ذلك ان القصيدة تحدد اطارا تكون فيه العقيدة الغنوصية مصدر الالهام، لكنها تعطي الانطباع بأن التكية لم تكن غافلة عن مثل تلك العقائد. وفي الحقيقة لم تضع القصيدة فروقا كبيرة بين الكلمتين، ما يعني ان كلمتا "خالق" و "صانع" قد استخدمتا بمعنى واحد.

ولما كان معلوما انه لا يمكن ان يولد اي منظور من العدم، فأن تأثير فلسفة ابن عربي في القصيدة جلي. ان تعبيرات مثل "مظهر" و "صورة" تمثل اركاناً اساسية في فلسفة ابن عربي. وجوهر هذه الفلسفة يقوم على ان العالم والخالق غير منفصلان وانه لا يمكن فصل الوجود المادي عن الوجود الميتافيزيقي وان كل ما في العالم المادي هو مجرد صور ومظاهر لتجلي الله. هنا يكون العالم، بالطريقة التي وردت في القصيدة، كالظلال (البيت التاسع). وهذا الوصف يناسب ايجاد صلة بين العالم المادي والعالم الميتافيزيقي، وهي صلة تعطي التفوق للعالم الميتافيزيقي لأنه هو الاساس. اما العالم المادي فلن يكون سوى ظل او صورة او انعكاس للعالم الميتافيزيقي وفي درجة ادنى منه.

ويتجاوب البيتان الثاني عشر والسادس عشر اكثر مع ابن عربي. فالله اوجد "الصور". ان تعبير ايجاد الصور، الذي يمثل اشارة ادبية الى الخلق، يسمو بتجربة الخلق الى الحد الذي يصبح فيه ايجاد العالم المادي مجرد ايجاد صور. وكل ما في العالم من صور ليس سوى مظاهر وانعكاس لذات الله.

والطريق الذي تسير عليه القصيدة يقربها كثيرا من المفاهيم الاسماعيلية. ان تعبير "العالم المستور" الوارد في البيت الثامن عشر قريب جدا من التعابير

الاسماعيلية وتصوراتها حول العالم الميتافيزيقي المستور الذي يتصل منه الامام المستور بأتباعه. تذهب القصيدة ابعده من ذلك، فلا تكتفي بذكر العالم المستور بل تذكر كذلك تعبيرا يقترب بالمفاهيم الصوفية هو "السر المكنون" (البيت التاسع والعشرين).

هناك تعبير اخر ملفت للانتباه. فالبيت الثامن عشر يصف الله بالكنز المستور. هذا التعبير يرمز الى مساع جرت لتطوير التجربة الدينية العادية في الاسلام لتصل الى مستوى التجربة الروحية بالطريقة المتعارف عليها في التصوف. والمصدر المستقى منه حديث قدسي يقول "كنت كنزا لا أعرف، فأحببت ان أعرف". يوفر هذا الحديث المادة الضرورية الكاملة لتبرير التصوف. وبحسب الآمدي، فإنه اذا كان الانسان يشكل اشرف المخلوقات في العالم السفلي، فما ذاك الا لأنه خلق اصلا ليعرف الله^{٢٠}. هكذا، فإن معرفة الله، وهي الهدف الاسمي للتصوف، تتناسب مع الغرض الاساسي لوجود الانسان. يشير ذلك الى الخلاف القائم بين المذاهب الصوفية وغير الصوفية. فالمذاهب الصوفية ترى ان مهمة الانسان هي ان يعرف الله وتؤدي هذه المعرفة الى تحويل التجربة الدينية العادية الى تجربة صوفية. اما المذاهب غير الصوفية فتري ان مهمة الانسان في الحياة هي ان يعبد الله ويؤدي ذلك الى رسم حدود واضحة لمدى معرفة الله. وبسبب التباين في النظرة الى هذه المسألة، انكر مفكرو السنة هذا الحديث ولم يعترفوا به. واول من انكره ابن تيمية، وتبعه الزركشي وابن حجر والسيوطي وغيرهم.

^{٢٠} أبو الحسن علي بن محمد الآمدي، الاحكام في اصول الاحكام، الجزء الاول، تحقيق الدكتور سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣، ص ٣١.